

إحياء علوم الدين

كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا .

وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر وا ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

بيان ما رخص فيه من الكذب .

أعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق رأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى إليك فقال رأيت فلانا ما كنت قائلا أأست تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب .

فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم أمرء مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أن استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحتزر منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغني عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة .

والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها // حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث أخرجه مسلم وقد تقدم // وقالت أيضا قال رسول الله ﷺ ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمي خيرا // حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا .

وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله ﷺ كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما // حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أخرجه أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحسنه وروى عن أبي

كامل قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي A كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي A فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس // حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي A كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح // أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي A أكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك // حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي A أكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك أخرجه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو في الموطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار //